القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

أهل الكهف

عبد الحميد جودة السحار

١٧

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

أهل الكهف

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

كان النّاسُ يستعدُّونَ للذّهابِ إلى المَعبدِ فى يوم العيد ، فوقَفُوا فى الطريق ينتظرون موكِبَ المَلِك ..

وجاءَ الملكُ فى عَرَبةٍ فخْمة ، تجرُّها خُيول ، عليها الزِّينةُ من الذّهَبِ والفِضَّة ، وكان معه فتْيانٌ من أبناءِ العُظماء . ولما رآه الناسُ ركعُوا له ، وسارت عربته بين الناس الراكعين ، حتى وصلت إلى المعبد . وهناك نزل هو وأبناءُ العظماء .

وكان فى المعبد أصنام ، وهى تماثيلُ من الحجَرِ صُنِعتْ على شكلِ إنسان ، فلما وصل المِلكُ إليها سجدَ لها فى احترام ، وسجَد لها الفِتْية ، ولكن أَحدَهم لم يسجدْ لها ، وظهر عليه أنه لا يحترمُها . ولاحظ الشُّبان أبناءُ العظماءِ أنه لم يسجد معهم ، أمَّا

الملك فلم يَلحظْ ذلك ، لأنه كان مشغولا بعبادةِ التماثيل .

وانتهى الملكُ من عبادته ، وعاد فى عربتِه إلى قصرِه ومعه الفِتْيَة ، وسارتِ العربةُ بين الناس الراكعين على جانبى الطريق ، حتى إذا أُقْفِل بابُ القصر ، سُمِحَ للناس بالدخولِ إلى المعبد لعبادةِ الأصنام ، لأنه لم يكن مسموحا لهم بالعبادةِ مع الملك

وجاءَ الليل ، وخرج الفِتيانُ من القصرِ ليذهبوا إلى بيوتهم ، ولكنّهم لم يتفرقوا إلى بيوتهم ، بل التفُّوا حول الشابِّ الذى لم يسجدْ للأَصنام ، وقالوا له :

ـ نريد أَنْ نحدِّثك الليلة وتُحدِّثَنا .

فقال لهم : ـ تعالَوْا إلى دارى .

فذهبوا معه إلى دارِه ، وقالوا له :

- لماذا لم تسجدْ اليومَ للإلَه ؟

فقال لهم :

- إنّنى فكرتُ فى هذا الإلَه ، فوجدتُ أنه تمثالٌ مِنَ الحجَرِ لا يسمعُ ولا يَرى ، ولا ينفعُ ولا يضرّ ، فوجدتُ أنه من الجنون أن أسجدَ لحجر .

فقال له أحدهم : - أكفرتَ بآلِهَتِنا ؟

فقال الشاب :

- كفرتُ بهذه الحجارة الخُرْس ، وخرجت إلى الفضاءِ ، ورفعتُ عيْنيَّ إلى السَّماء ، وسأَلتُ نفْسى : مَنْ رفَعَ هذه السماءَ ، ومَنْ خَلَقَ فيها شمسَها وقمرَها ، ومنْ زيَّنها بالنجوم ؟ ونظرت إلى الأَرضِ وسأَلتُ نفسى : من سطحها ؟ ومن أَنْبَتَ الْحَبَّ والعُشْبَ والبَقْلَ والأَشجار فيها ؟ ومن أَجْرَى الأَنهار ، وخلَق الْجِبال ؟ ثم اهتديتُ إلى أَنَّ الَّذى

خلَق هذه الأشياءَ ، لا بدَّ أَنْ يكونَ أَكبرَ منها ، وأَنَّهُ قُوَّةٌ عظيمةٌ لا نَراها ، فتوجَّهتُ إلى هذه الْقُوَّةِ أَعْبُدُها .

فسكت الشُّبَّانُ قليلا ، ثم قال أَحدُهم :

- إِنّنى أَنا أيضا عرَفتُ أَنَّ هذه الحجارةَ التى يَعبدُها قومُنا لا قيمةَ لها ، لأَننى رأَيتُ الناسَ يَنْحِتُونها بأَيديهم ، ثم يَنْصِبُونها فى الْمعْبَد ويسجدون لها ، وفكَّرْتُ فى نفسى ، فوجدتُ أَنَّنى كنتُ جَنينًا فى بَطنِ أُمِّى ، ثم أَصْبَحْتُ صغيرًا آكلُ وأَشرب ، وأَسمعُ وأَرى ، ثم صِرت شابًّا وكبرَ عقلى ، فصرتُ أُمَيِّزُ النافعَ من الضَّار ، وفكرْت فيمن خلقنى ، فاهتديتُ إلى أَنَّ منْ خلقنى لا بدَّ أَن يكون عظيمًا قادرا ، فأَخذتُ أَعبدُه وأُصلّى له ،

وأَتوجَّهُ إِليه فى دُعائى .

استمرَّ الشُّبانُ يتحدثون حتى آمنوا جميعا وقالوا :

« ربُّنا ربُّ السَّموَاتِ والأَرض ، لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دونِه إِلَهًا ، لقدْ قُلْنا إِذًا شَطَطا » .

٢

صارَ الفِتْيانُ يَجتمعون كلَّ ليلةٍ فى بيتِ أَحدِهم ، يُصلُّون لله ويعبدُونه ، وفى ذاتِ ليلة دخل عليهم أَحدُ أَعوانِ الملك ، فرآهم فى صَلاتِهم ، فسأَلَهم عمَّا يفعلون ، فقالوا له :

ـ إِنَّ قومَنا يعبدونَ حجارة ، ونحن نعبدُ اللّه الذى خَلق السماءَ والأَرضَ وما بَيْنَهُما ، فاتركْ دينَ قومِك ، وادخلْ فى ديننا القويم .

فقال لهم الرجل :

ـ إِنى وجدْتُ آبائى على هذا الدِّين ، ولا أَستطيعُ أَن أَتركَ ما وجدتُ آبائى عليه .

فاستمر الفِتْيانُ يحاولونَ أَنْ يَدخُلَ الرجلُ فى دينهِم ، ولكنّه لم يقبلْ ، وتركهُم وذهب إِلى الملك . فلما دخلَ عليه ، أَخبرَه أَن الفِتْيان الذين يلتفُّون حولَه قد تركوا دينَه ، ودخلوا فى دينٍ جديد ، فغضبَ الملك ، وعزمَ على أَنْ يذهبَ إِليهم ليعذِّبَهم ، لتَرْكِهم دينَه .

علِمَ الفِتْيانُ أَنَّ الرجل سيذهبُ إِلى الملك يشكوهم ..وأَنَّ المِلكَ سيغضَبُ عليهم ، ويَقْبضُ عليهم ليعذِّبَهم أو يقتلهم ، فتشاوروا فى الأَمر ، فرأَوْا أَن يهرُبوا من بلد الملك .

ركب الفِتْيَة خيولَهم ، وساروا حتى خرجُوا منَ المدينة ، ثم تركوا خيولَهم ، ومَشَوْا على أَرجُلِهم ،

فمرُّوا على صديق لهم فى حقلِه ، وكانَ يعرفُ ديانتَهم ، ويعبدُ اللّه مِثلَهم ، فقال لهم :

ـ إلى أين أَنتُم ذاهبون ؟

فقالوا له :

ـ علِم الملِكُ أَنّنا تركْنا دينَه ، ولا بدَّ أنّه الآن يبحث عنا ليقتلَنا ، فهربْنا منه .

فقال الشاب :

ـ إنّنى ذاهب معكم .

وانضمَّ الشَّابُّ إليهم ، وسارَ معهم ، وتبعَه كلبُه ، واستمرُّوا فى سَيْرِهم حتى جاءَ الليل ، فبحثوا عن مكان يَبيتُون فيه ، فوجدُوا فى الجبلِ كهْفا ، فذهبوا إليه والكلبُ خلْفَهم ، فقال أَحدُهم .

ـ إننا نخافُ أَن يفضحنا هذا الكلبُ بنُباحِه .

فطردوه ، ولكنه عاد إليهم ، فقال صاحبه :

ـ دعوه يحرسْنا من عَدُوِّنا .

ودخلوا الغارَ وناموا ، ونام الكلبُ على باب الغار ، وبسط ذراعيه .

٣

خرج الملكُ فى حَرَسِه وجنودِه ، يبحثُ عنِ الفِتيان الذين تركوا دينه ، ودخلوا فى دينٍ آخر ، حتى اهتدى إلى الكهفِ الذى لجأُوا إليه ، فنظرَ فوجد الشمسَ تمرُّ على باب الكهف ، فلا تدخُلُهُ أَشِعَّتُها ، ويبقى مظلما كما كان ، فاستغربَ وأَحسَّ بخوف ، فأَمرَ رجالَه بالدخول ، فأَحسُّوا بالرعب ، ولم يستطع أَحدٌ منهم أَن يدخل . وقال أَحدهم للملك :

ـ إنك تريدُ أَن تقتلَهم .

فقال الملك :

ـ نعم .

فقال الرجل :

ـ سُدَّ عليهم باب الكهف ، واتركْهم فيه يموتُون عطَشًا وجوعا . فأُعجِب الملِك بالفكرة ، وأَمر ببناءِ باب الكهف . وقال فى سخرية :

ـ إنْ كان لهم إِلهٌ غيرُ آلهتِنا فلْيُخرجْهم من هذا الكهف !

٤

استيقظ الفتيانُ من نومهم ، فوجد كلٌّ منهم جسمَه موجوعا من النّوم ، وسأَل أَحدهم : كم مكَثْنا فى هذا الكهف ؟

فقالوا له : مكثْنا يومًا أَو بعضَ يوم .

وشعروا بالجوعِ فقالوا : إِننا جِياع .

فقال أَحدهم :

ـ أَذهبُ فأَشترى لكم طعاما من السوق .

ـ قد يعثرُ عليك الملك ، ويَقْبضُ عليك .

ـ سأَذهبُ دونَ أَن يُحسَّ بى أَحد .

وقام الشابُّ ، فلما مر ببابِ الكهف رأَى حجارة مبنية ، ولم يجد إلاّ فتحةً صغيرةً يدخلُ منها النور ، فنَقَض الحجارةَ وخرج ، وسار فى الطريق وهو يتلفّت ، خوفًا أَن يقابلَه أَحد رجال الملك ، فيقبض عليه .

ولكنه رأَى الطريقَ يختلفُ عن الطّريق الذى سـ فيه ، ومر بمواضعَ لم يكنْ يعرفُها ، ووصل إِلى بـا المدينة ، فوجده يختلفُ عن الباب الذى يعرفه ، ففر عَيْنيه ، وضرب رأْسَه بيده ، فقد حسب أَنه يحلُم

وتلفّت حولَه وهـو يَعْجَب فـى نفسـه كيـف تغيرتْ الدنيا فى ليلةٍ واحدة .

ومرّ علـى الحَوانيـت فوجدَهـا غـير التـى يعرفُهـا ، ونظر فى وجوه النـاس ، فلـم يعـرفْ أحـد . ووقَـفَ يُفكِّرُ فيما جرى ، فلم يهتد إلى شيءٍ .

وأخـرج قطعـةَ نقـودٍ فِضِّيَـة ، وذهـب إلى خبَّـاز وأَعطاهُ إياها ، وطلـب منـه أَن يُعطِيَـه خـبزا ، فـأَخذ الخباز قطعةَ النقود ، وجعل يقلِّبها فـى حَـيْرة ، فقـال الشابّ :

ـ ماذا جرى ؟

ـ هذه القطعة الفِضِّية !

ـ ماذا بها ؟ قطعة من النقود عليها صورة الملك .

فقال الخباز : صورةُ أَيِّ ملِك ؟

ـ ملـكُ هـذه البـلاد ، إِن هـذه القطعـةَ اشْـتَرَيتُ

بمثلها طعاما بالأَمس .

ـ لا بدَّ أَنك قد وجدتَ كَنزا ، فهذه قطعـة نقـودٍ قديمةٍ جدا ، وليستْ من نقودِ هذا الزمان .

ـ إِننى لم أَتركْ هذه المدينة إِلا أَمس .

فقال له الخباز :

ـ لا تسْـخَرْ منِّـى ، ولـن أَتركـك ، سأُسْـلِمُك للشُّرْطِيِّ ليُسْلِمك للملِك .

فقال الشابّ :

ـ إِن الملك سيقتُلنى ، لأَننى تركت دينَـه ، تركـت عبادةَ الأَصنام ، وعبدتُ اللّه وحدَه لا شريكَ له .

فقال الخباز :

ـ لا تحـاول أَن تخْدَعَنـى . إِننـا لا نعبـدُ الأَصنـام ، وإِن ملكنا لا يقتلُ الذين يعبدون اللّه .

ثـم نـادى الشـرْطيّ ، وأَراه قطعـة النقـود ، فنظـر

الشرطيُّ إلى الشابِّ ، وقال له : هيَّا معى إلى الملك ، لأنَّ هذه نقودٌ أثرية ، ولا بدَّ من تسليمها للملك . وسار الشاب وهو مبهوتٌ إلى قصرِ الملِك ، فلما دخلَ وجدَ ملِكا آخرَ لا يُشبهُ الملك الذى هربوا منه ، وكان الملك عادلا ، فقال :

ـ ما قصة هذا الفتى ؟

فقال الشرطى : لقدْ وجدَ كَنْزا !

فقال الشابّ :

ـ أَنا من أهل هذه المدينة ، ولم أَجدْ كنزا فهذه نقودى .

فقال له الملك :

ـ اذكر أَسماءَ من تعرفهم من هذه المدينة .

فراح الشاب يذكر أَسماءَ من يعرفهم ، فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا .

فقال الشاب :

ـ خرجتُ بالأَمسِ هاربا من الملك دقْيانُوس .

فقال الملك فى عجب :

ـ الملك دِقْيانُوس ؟ لقد ماتَ من أَكثر من ثلاثمائةِ سنة .

فقال الشابّ :

ـ أكثر من ثلاثمائة سنة ! إِننى تركتُه بالأَمسِ فقط .

فقال الملك : هذا غير معقول .

فأَخرج الشابّ النقود التى معه ، وقدمها إِلى الملك ، وقال :

ـ هذه النقود عليها رسْمُه ، وقد اشتريتُ بها بالأَمس طعاما .

فأَخذ الملك النقود ، وراح يقلبها بين يديْه

ويقول :

ـ إن أَمرَك عجيب ، هذا النقدُ من ثلاثمائة سنة !

فقال الشابّ :

ـ وهل نِمنا فى الكهفِ ثلاثمائة سنة ؟!

فقال الملك : نِمتم ؟ مَنِ الذين ناموا .

فقال الشابّ :

ـ أَنا وأَصحابى الذين فرُّوا من الملك دِقْيانُوس .

فقال الملك :

ـ إننى لا أَستطيع أَن أُصدِّقَ ما تقول ؟

ـ إذا كنت لا تصدِّقُنى ، تعال واسأَل أَصحابى .

وركبَ الملكُ ورجالُه ، وركبَ الشابُّ معَهم ، وساروا ، فلما اقتربوا من الكهف ، قال الشابُّ للملك ومن معه :

ـ يا قوم ، إنى أَخافُ أَنَّ أصحابى يُحِسُّونَ وَقعَ

أَرجل الخيل ، فيظنونَ أَنَّ دِقْيانوس جاءَ يطلُبُهم ، فيموتون من الخوف ، فقِفوا قليلا حتى أَدخلَ إِليهم وأُخبِرَهم الخبر .

فوقفَ الملكُ ومَنْ مَعه ، وذهبَ الشابُّ إِلى أَصحابه، فلما رَأَوْه قالوا له :

ـ الحمدُ لله الذى أَنقذك مِنْ دِقيانوس .

فقال الشابّ :

ـ دعونا من دِقيانوس ، كم مكثْتم فى الكهف ؟

قالوا : لَبِثْنا يومًا أَو بعضَ يَوم .

قال :

ـ بل لَبِثْتُمْ ثلاثَمائة سنة وتسع سنوات ، وقد مرَّت عليكُم تلك السنونُ وأَنتم نيام ، وقد ماتَ دِقيانوس وتغيَّرتِ الدُّنيا ، وأَصبحتْ غيرَ الدُّنيا .

عنْدَ ذلك أَحسَّ الفِتيانُ بالنوم فناموا ، وانتظر

المَلِك ، وطال انتظاره ، ثم ذهبَ يبحثُ عن الشَّابّ ، فوجدَه وأَصحابَه قد ماتوا .

فقال الملك :

ـ سبحانَ اللّه ! هذه معجزةٌ عظيمة ، وقد أَرانا اللّه أَنّه قادرٌ على أَن يُحْيِيَ هؤلاء الشبان بعد أَكثرَ من ثلاثمائة سنة ، وهو قادرٌ على أَن يُحيِيَ الناسَ جميعا بعد أَنْ يكونوا ترابا .

« قال الذين غَلَبُوا على أَمرهم : لَنتخذَنَّ عليهمْ مَسْجدا » .